مقدّمة الطبعة العربية

الكتاب المقدّس
تاريخه وأقسامه المختلفة

يتألف «الكتاب المقدّس» لدى المسيحيين ممّا يسمّونه «العهد القديم» و «العهد الجديد» . يحتوي الأول على ما يشترك المسيحيون واليهود في تقديسه من أسفار كُتبت أصلاً باللغة العبرية ، بينما يحتوي الثاني على ما يقدّسه المسيحيون دون اليهود من نصوص كُتبت أصلاً باللغة اليونانية .

و «العهد القديم» يتألف من ثلاثة أقسام [1] ، هي على التوالي :

«تُوْراه» תורה (الشريعة) ، 5 أسفار : (التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التّثنية – وجميعها يُنسب إلى موسى النّبي) ؛ وأسفار «نبيئيم» נביאים ، (الأنبياء ، بما فيها الأسفار ذات المحتوى التاريخي) ، وهي 21 سفراً : (يشوع ، القضاة ، صموئيل الأول والثاني ، الملوك الأول والثاني ، إشعيا ، إرميا ، حزقيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبديا ، يونان ، ميخا ، ناحوم ، حَبَقّوق ، صَفَنيا ، حَجّاي ، زكريّا ، مَلاخي) ؛ والأسفار التاريخية والأدبية المسمّاة أسفار «كتوبيم» כתובים (المدوّنات التاريخية) ، 13 سفراً : (أخبار الأيام الأول والثاني ، مزامير داود ، أيّوب ، الأمثال ، راعوث ، نشيد الأنشاد ، الجامعة ، مراثي إرميا ، سفر إستير ، دانيال ، عزرا ، نحميا) .

---

(1) يُصطلح على تسميتها بالعبرية اختصاراً : תנ"ך «تنخ» ، وهي الحروف الأولى من أسماء هذه الأقسام ، وأما الخاء فهي مقلوبة عن الكاف ، وهما في العبرية حرف واحد مزدوج .

وأطلق المسيحيون على أسفار اليهود هذه (توراه ، نبيئيم ، كتوبيم) مجتمعة تسمية «العهد القديم» ، وهذه التسمية في المفهوم اللاهوتي المسيحي تعني الميثاق الذي حدّد العلاقة الخاصّة بين الله و «شعبه المختار» شعب إسرائيل . ويقابل ذلك المصطلح «العهد الجديد» ، وهو الذي جرى ، في المفهوم اللاهوتي المسيحي ، بين الله والعالم أجمع ، من خلال موت المسيح يسوع على الصليب ليفتدي البشر .

أما «العهد الجديد» ، الذي هو الجزء الخاص بالمسيحيين من «الكتاب المقدّس» ، فيتألّف من أربعة أسفار تسمّى «الأناجيل» [1] ، يليها سفر «أعمال الرُّسُل» ثم «الرّسائل» (ومجموعها واحد وعشرون رسالة ، ثلاث عشرة منها بقلم الرّسول بولس) ، وأخيراً سفر «رؤيا يوحنّا اللاهوتي» الموجّه ، هو أيضاً ، على شكل رسالة من «يوحنّا إلى السّبع الكنائس التي في آسيا» (أي في بلاد الأناضول) .

والأناجيل الأربعة من «العهد الجديد» تحمل أسماء اثنين من تلاميذ يسوع هما متّى ويوحنّا ، واثنين من معاوني الرّسول بولس هما مرقس ولوقا [2] . وموضوع هذه الأناجيل الأربعة هو سيرة يسوع ، يضاف إليها سفر «أعمال الرُّسُل» الذي يتحدّث عن أحوال تلاميذ يسوع وأفعالهم من بعده . والواضح أن سفر «أعمال الرُّسُل» جاء من القلم نفسه الذي صدر عنه إنجيل لوقا ، وهو الموجّه على شكل رسالة إلى «العزيز ثاوفيلُس» ، كما هو الواقع بالنّسبة إلى سفر «أعمال الرُّسُل» حيث المقدّمة تقول : «الكلام الأول أنشأتُه يا ثاوفيلُس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلّم به ، إلى اليوم الذي ارتفع فيه» . ثم ينتقل الكلام إلى ما حصل لرُسُل يسوع من بعده .

---

(1) الإنجيل كلمة يونانية : Ευαγγελιον «إواگّليون» ، وهي تعنى «البشارة» . دخلت اللغة اللاتينية : Evangelium (وكذلك في الألمانية) ، ومنها في الفرنسية Evangile .

(2) علماً أن هناك من الباحثين المسيحيين أنفسهم من يشكّك بكون هؤلاء الأربعة هم من كتبوا الأناجيل المنسوبة إليهم بالفعل ، ويضعون عدّة افتراضات لا مجال لبحثها هنا .

obeikandi.com

والرّأي السّائد بين علماء «العهد الجديد» اليوم ، أن كتابة الأناجيل الأربعة ابتدأت قبل عام 70 للميلاد بقليل ، وانتهت مع نهاية القرن الميلادي الأول أو بداية الثاني . ومن الباحثين من يعتبر أن من ضمن محتويات إنجيل يوحنّا ما هو أقدم من إنجيل مرقس ، ممّا يعني أن نصّاً بدائياً من إنجيل يوحنّا كُتب أصلاً قبل إنجيل مرقس ، ثم أُعيدت كتابة هذا الإنجيل مع إضافات إليه في وقت لاحق [1] .

لكن يبقى السؤال : هل من دليل على أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة – على افتراض أنهم كانوا حقاً متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنّا – اعتمدوا على مصادر ما ، سابقة لهذه الأناجيل ؟

1 – من الملاحظ عن الأناجيل الأربعة ، أن ثلاثة منها – إنجيل متّى ، ومرقس ، ولوقا – تتحدّث عن يسوع بشكل متناسق ، على عكس الإنجيل الرابع – إنجيل يوحنّا – الذي يختلف جذرياً عن «الأناجيل المتناسقة» في حديثه عن يسوع .

2 – من الملاحظ أيضاً أن المعلومات الأساسية التي يوفّرها إنجيل مرقس عن يسوع ، واردة أيضاً في إنجيلي متّى ولوقا ، وذلك إلى جانب معلومات أخرى لا يأتي مرقس على ذكرها . وهذا يعني أن إنجيل مرقس لم يكن إلا واحداً من المصادر التي اعتمد عليها متّى ولوقا في كتابة إنجيليهما .

3 – من المعلومات الإضافية الواردة في إنجيلي متّى ولوقا ، ما هو مشترك بينهما ، ومنها ما هو خاص بإنجيل واحد دون الآخر . وهذا يعني أن متّى ولوقا استقيا بعض معلوماتهما من مصدر مشترك ، وبعضها الآخر من مصادر مختلفة .

4 – من المعلومات الواردة في إنجيل لوقا وحده من بين «الأناجيل المتناسقة» ما يرد أيضاً في إنجيل يوحنّا ، لكن بكلمات أخرى . وهذا يعني أن

(1) راجع : البحث عن يسوع ، لكمال الصليبي ، دار الشروق ، عمّان 1999 ، ص 13 . علماً أن هذا خلاف ما يطرحه إينوك پاول في كتابه أدناه .

المصدر الخاص بلوقا ، والذي أخذ عنه يوحنّا أيضاً ، كان مصدراً مكتوباً بلغة غير يونانية ، لا بدّ أنها كانت الآرامية ، فنقل كلّ منهما مقاطع من هذا المصدر إلى اليونانية بأسلوبه الخاص . أو أن هذا المصدر كان موجوداً في أصله الآرامي ، وكذلك في ترجمة يونانيّة ، فاستخدم واحد منهما (وهو يوحنّا) الأصل ، والآخر (وهو لوقا) الترجمة اليونانية المتوفّرة له .

5 - قصّة ولادة يسوع التي يوردها لوقا ، ولا يوردها يوحنّا ، تأتي من مصدر استخدمه لوقا ولم يستخدمه يوحنّا . أو لعلّها كانت جزءاً من المصدر المشترك بينهما ، استخدمه لوقا ، ولكن لم يستخدمه يوحنّا لسبب ما .

* * * * *

من خلال هذه الملاحظات ، اصطلح الباحثون على الاستنتاجات التالية ، مع اختلافهم وتباينهم الواضح عليها [1] :

أولاً : أن كلاً من متّى ولوقا استخدم إنجيل مرقس مصدراً في كتابة إنجيله .

ثانياً : أن متّى ولوقا اشتركا في استخدام مصدر آخر ، ربما كان مكتوباً باليونانية أصلاً ، وربما كان مصدراً يونانياً مترجماً عن أصل آرامي ، فنقلا عنه حرفياً بالطريقة ذاتها تقريباً . وقد درج المختصّون على تسمية هذا المصدر Q من العبارة الألمانية Quelle بمعنى «المصدر» .

ثالثاً : أن متّى استخدم مصدراً لم يستخدمه لوقا ولا يوحنّا .

رابعاً : أن يوحنّا ولوقا استخدما مصدراً آرامياً لم يستخدمه متّى . فنقل يوحنّا عن الأصل الآرامي منه ، ولوقا عن ترجمة يونانيّة له ، لكونه غير متمكّن من الآرامية ، كما يبدو .

---

(1) راجع : كمال الصليبي ، المرجع المذكور ، ص 110 .

خامساً : أن لوقا نقل قصّة ولادة يسوع ، كما هو واردة في إنجيله ، من مصدر لم يستخدمه متّى ، إذ أن متّى يورد قصّة ولادة يسوع بشكل آخر . وقد يكون هذا المصدر هو ذاته المصدر الآرامي الذي أخذ عنه كل من يوحنّا ولوقا ، إلا أن لوقا شاء أن ينقل قصّة ولادة يسوع عن هذا المصدر ، في حين أحجم يوحنّا عن ذلك ، لسبب نجهله .

* * * * *

أما النّظرية التي يطرحها إينوك پاول في كتابه الحاضر ، فهي تحاول أن تثبت – على نقيض ما هو متعارف عليه أعلاه – حقيقية اشتقاق إنجيل لوقا من إنجيل متّى ، واستقاء إنجيل مرقس من كل من إنجيلي لوقا ومتّى ؛ وكون إنجيل متّى بالتالي هو أقدم الأناجيل الأربعة المعروفة ، وأن هذين الإنجيلين الآخرين لم يستندا غالباً إلى أي مصدر ، أو مصادر أخرى ، ماخلا إنجيل متّى ذاته .

وكذلك فهو يحاول البرهنة على أن هناك متناً سابقاً للإنجيل ، قد اختفى ، أو تم إخفاؤه عن عمد ، فضاعت آثاره .

* * * * *

ويُجمع الباحثون أيضاً على كون رسائل بولس – وهي التي كُتبت بيده ، معظمها على الأقل – هي أقدم من أي الأناجيل ، نظراً إلى أن بولس توفي في العام 67 م تقريباً . والرأي السّائد بشأن هذه الرّسائل هو أن تلك الموجّهة منها إلى أهل رومية (أي روما ، وهي رسالة واحدة) ، وإلى أهل غلاطية (وهي أيضاً رسالة واحدة) ، وإلى أهل كورنثوس (وهما رسالتان) ، لا مجال للشك في أصالتها .

أما ما تبقّى منها (الرّسائل إلى أهل أفسُس ، وفيليبّي ، والرّسالتان إلى أهل تسالونيكي ، والرّسالتان إلى تيموثاوس ، والرّسالتان الموجّهتان واحدة إلى تيطُس ، والثانية إلى فليمون) ، فمن محتوياتها ما هو أصيل ، ومنها ما قد يكون مُضافاً إلى الأصل لاحقاً عن طريق التحرير .

أما بقيّة «الرّسائل» من «العهد الجديد» ، فاثنتان منها منسوبتان إلى أخوين من أخوة يسوع (واحدة إلى أخيه يعقوب ، والأخرى إلى أخيه يهوذا) ، واثنتان إلى تلميذه بطرس ، وثلاث إلى تلميذه يوحنّا ، وواحدة موجّهة إلى «العبرانيين» من دون ذكر لاسم صاحبها . وللباحثين شكوك بأن الرّسائل المنسوبة إلى يعقوب ويهوذا وبطرس ويوحنّا ، قد جاءت بالفعل من أقلامهم .

متّى وإنجيله

متّى اسم عبري : מתתיה (مَتَّتْيَاه) ، وهو يعني : هدية يهوه יהוה ، ربّ العبرانيين . وانتقل الاسم إلى اليونانية : Μαθθαιος «مَثّايُوس» .

يذكر الباحث الفرنسي الشهير موريس بوكاي Maurice Bucaille في كتابه «دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة» [(1)] :

إنجيل متّى هو أحد الأناجيل الإزائيّة *Synoptiques* الثلاثة : متّى ومرقس ولوقا ، على اعتبار انفراد إنجيل يوحنا وحده بصفاته الغنوصيّة . وأما متّى ، فلم يعد مقبولاً اليوم اعتباره أحد تلاميذ المسيح مباشرة ، إذ يُستفاد من إنجيله أن كاتبه متبحّر في التراث والكتب المقدّسة اليهودية ، وأنه يعرف رؤساء شعبه ويحترمهم ، وإن كان أغلظ أحياناً القول في مخاطبته لهم . وهو ينطبق تماماً على ملامح يهودي متأدّب اعتنق المسيحية ، معلّم حاذق «يُخرج من كنزه كل جديد وقديم» ، كما يشير إلى هذا إنجيله نفسه (متّى 13 : 52) . تلك هي صورة بعيدة كل البُعد عن صورة «جابي الضرائب من كفر ناحوم» الذي يُطلق عليه مرقس ولوقا اسم ليڤي (לוי) ، أو لاوي بن ألفايوس ، الذي أصبح واحداً من تلاميذ المسيح الاثني عشر . انظر : مرقس 2 : 14 ؛ ولوقا 5 : 27 .

---

(1) صدر بالعربية عن دار المعارف بمصر . انظر ص 70 . وعنوانه الأصلي بالفرنسية :
Bucaille, M.: *La Bible, le Coran et la science*, 4ème édition, Seghers, Paris.

obeikandl.com

يبقى السؤال الأهم : متى وأين كان تحرير إنجيل «متّى» ؟

يذهب المعلّقون على الترجمة المسكونية للكتاب المقدّس إلى أن إنجيل متّى قد كُتب بسورية ، وربما بأنطاكية أو فينيقية . فقد كان يعيش في هذه الأماكن عدد كبير من اليهود . ومن قراءتنا لهذا الإنجيل ، قد نستشفّ معركة فكرية موجّهة ضد اليهودية المعبديّة الأرثوذوكسية الفَرّيسية ، التي سادت في المجمع الكنسي اليهودي الذي انعقد في بلدة يمنيّا (يُبنى ، جنوبي يافا) ، نحو عام 80 م .

في ظلّ هذه المُعطيات ، يزداد عدد الذين يؤرّخون للإنجيل الأول بالفترة الواقعة ما بين عامي 80 و 90 للميلاد ، أو ربما قبل ذلك بقليل ، غير أنه ليس من المستطاع التوصّل إلى يقين تام في هذا الموضوع[1] .

في الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدّس ، العهد الجديد (بيروت 1969) ، يرد أن إنجيل متّى كُتب في العام 44 . ولعلّ في هذا محاولة لإيلاء مزيد من الثقة به ، كونه كُتب بعد عشر سنوات من غياب المسيح . بينما يذهب بعض الباحثين إلى أنه كُتب في حوالي العام 85 م ، وأن أكثر من نصفه مقتبس من إنجيل مرقس[2] ، رغم أنه كُتب في الأصل باليونانية ، وهو يعكس خصائص إغريقية[3] .

وينبغي عدم الخلط بين مؤلفه وبين التلميذ المسمّى «متّى» الذي يُقدّر أنه عاش في زمن أقدم ، وربما لم يعرف سوى الآرامية ، وذلك خلافاً لما ذهبت إليه الطبعة الكاثوليكية ، من أن إنجيل متّى كُتب بالآرامية ، وهي اللّغة الدّارجة عند اليهود في ذلك العصر والتي بها خاطب يسوع الناس ، ونقل المسيحيون الأولون إنجيل متّى إلى اليونانية ، ثم فُقد الأصل الآرامي وبقيت ترجمته اليونانيّة ، وهي المعوّل عليها في البحث والنقل إلى سائر اللّغات .

---

(1) راجع : بوكاي ، المصدر المذكور ، ص 70 .

(2) سنرى أن پاول في كتابه يحاول إثبات العكس .

(3) راجع : خيّاطة ، الفرق والمذاهب المسيحية ، ص 29 . وراجع أيضاً :
Baigent, M. & Leigh, R. & Lincoln, H.: *The Holy Blood and the Holy Grail*, London, 1982. p. 289.

obeikandi.com

حسب إنجيل متّى ، نرى أن يسوع يقصر رسالته على «خراف إسرائيل الضّالّة» ، ويوصي أتباعه ألا يدخلوا مدينة للسّامريين ، ولا إلى مدن الوثنيين (الأمم) . وهذا ما حدا ببعض الباحثين أن يعدّوا هذا الإنجيل معبّراً عن وجهة نظر اليهودية - المسيحيّة . يقول أ. تريكو : «تحت يونانيّة الثّوب ، يكمن الكتاب يهوديّاً لحماً وعظماً ورُوحاً ، يحمل آثار اليهودية ويتّسم بسماتها المميّزة»(1) .

* * * * *

وهنا ، لا بدّ من الإشارة إلى أن البحث في موضوع الكتب المقدّسة اليهودية والمسيحية ، لا يجوز أن يعتمد على نصوص «العهد القديم» و «العهد الجديد» إلا بلغتيهما الأصليتين ، وهما : العبرية بالنسبة إلى «العهد القديم» (عدا بعض المقاطع الآرامية) ، واليونانية بالنسبة إلى «العهد الجديد» . إذ أن في «العهد القديم» وكذلك في «العهد الجديد» مقاطع قابلة للفهم على أكثر من وجه - كما سنرى - ، وأخرى استوجبت الاجتهاد في ترجمتها لاعتبارها غامضة . ومن الضروري ، في مثل هذه الأحوال ، أن يُثبت النص ، أو الكلمة المستعصية منه على الأقل ، بالشكل الأصلي ، ثم الاجتهاد بشأنه على هذا الأساس .

فممّا دفعنا إلى الاهتمام بترجمة هذا الكتاب «تطوّر الإنجيل» ، هو إعادة ترجمة مؤلّفه لإنجيل متّى عن لغته اليونانيّة الأصلية ، مع محاولة إسقاط بعض عباراته على العهد القديم بنسختيه العبرية المسوراتية القديمة ، والنسخة اليونانية السبعينية . وهذا ما وسم بحثه بالأصالة والأهمية .

وتبقى الإشارة إلى أن النص العربي لإنجيل متّى والاقتباسات المعرّبة من «الكتاب المقدّس» - بقسميه القديم والجديد - في بحثنا الحالي ، قد اعتمدنا فيها الترجمة المعروفة بترجمة «المُرسلين الأميركان» ، التي صدرت في بيروت بالمطبعة الأميركانية عام 1865 ، وقام بتعريبها آنذاك : عالي سميث وبطرس البستاني وناصيف اليازجي وكورنيليوس ڤان ديك والشيخ يوسف الأسير الأزهري .

---

(1) راجع : موريس بوكاي ، المصدر المذكور ، ص 69 .

وهنا ، رُبَّ سائل يسأل : ما سبب تفضيل الترجمة العربية البروتستانتية ، وليس الكاثوليكية ؟ بما يحمله ذا التساؤل من أبعاد وإسقاطات مذهبية وتوجّهات فكرية عقائدية . فنقول : لا ارتباط البتّة بين اختيارنا لهذه الترجمة وأية اعتبارات مهما كان نوعها . إلا أن هناك سببين دعيانا لذلك ، هما :

أولاً : أسبقية الترجمة البروتستانتية البيروتية على سواها من الترجمات المعتمدة للكتاب المقدّس ، وسعة انتشارها ، واقتباس الترجمة الكاثوليكية منها في كثير من العبارات والمفردات . وثانياً : كون المؤلف إينوك پاول قد رجع بالأصل إلى النسخة البروتستانتية الإنكليزية الرسمية ، المعروفة بطبعة «جمعية الإنجيل البريطاني والأجنبي» ، وهو أصلاً پروتستانتي أنگليكاني . فلمّا كنا هنا نقوم بعملية ترجمة ، فالأجدر بنا الرجوع إلى مظانّ الأصل التي اعتمدها صاحبه .

أصول التثليث في المسيحية

يقرّر دستور الإيمان المسيحي الذي أقرّته كنيسة روما العامّة ، بناءً على قرار مجمع نيقية المسكوني للأساقفة عام 325 م ، أن :

«يسوع المسيح (هو) ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدّهور ، نورٌ من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجلِ خلاصنا نزل من السماء ، وتجسّد من الرُّوح القُدُس ومن مريم العذراء ، وتأنَّس ، وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البُنطي ، وتألّم ، وقُبر ، وقام في اليوم الثالث» [1] .

---

(1) راجع كتاب : سوسنة سليمان في العقائد والأديان ، لنوفل أفندي نوفل ، المطبعة الأميركانية ، بيروت 1922 ، ص 137 . وراجع بحث الأستاذ سعد رستم : التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا ، دار الأوائل ، دمشق 2002 . ص 15–32 . وكذلك بحث الأستاذ نهاد خيّاطة : الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام ، دار الأوائل ، دمشق 2002 . ص 84 .

obeikandi.com

تلك هي عبارة دستور إيمان المسيحيين بالمسيح بحرفيتها ، ويعتقد الجمهور الأعظم بأن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة ، والأقنوم لفظة يونانية εικοινον تعبّر عن «الكيان» υποστασις (إيپوستاسيس) ، وهذه الأقانيم الثلاثة هي : شخص الآب ، وهو الخالق لكل شيء والمالك والضابط للكل ، وشخص ابنه ، المولود منه أزلاً المساوي لأبيه في الألوهية والرُّبوبية لأنه منه ، وشخص الروح القُدس[1] .

وهذه الأقانيم الثلاثة متّحدة في الجوهر والإرادة والمشيئة ، إلا أن هذا لا يعني أنها شخص واحد ، بل هم أشخاص ثلاثة ، كل واحد منهم إله كامل في ذاته غير الآخر ، فالآب إله كامل ، والابن إله كامل غير الآب ، وروح القدس أيضاً إله كامل غير الآب والابن ، ولكن مجموع الثلاثة لا يشكّل ثلاث آلهة كما هو مقتضى الحساب ، بل يشكّل إلهاً واحداً . ويتم الإجماع على أن هذا المبدأ لا سبيل لإدراكه وفهمه بالعقل ، وهو يسمّى «سرّ التثليث» *trinity* .

ثم يعتقدون أن الأقنوم الثاني لله ، أي أقنوم الابن ، هو الذي تجسّد وصار إنساناً حقيقياً ، بكل ما في الإنسانية من معنى ، وهوالمسيح المولود من مريم العذراء ، فالمسيح في اعتقادهم إله إنسان ، أي هو بشر حقيقي مثلنا تماماً تعرُض له أعراض الضعف والاحتياج البشرية جميعها ، وهو في عين الحال إله قادر كامل الألوهية . ويسمّون هذا بـ «سرّ التجسّد» *incarnation* .

وهكذا ، فالمسيح حسب تفسير قانون الإيمان المسيحي الذي تقرّر في مجمع خلقيدونية عام 451 م (وهو المجمع المسكوني الخامس) ، هو شخص واحد ذو طبيعتين : طبيعة إنسانية (ناسوت) ، وطبيعة إلهية (لاهوت) ، فهو إله بشر في آن واحد . وفي هذا المجمع قام حوالي 500-600 أسقف بإقرار عقيدة مجمع نيقية ، من حيث مساواة الكلمة أو الابن مع الآب في الذّات والجوهر[2] .

---

(1) والكاثوليك يعدّون الروح الروح القدس منبثقاً من الآب والابن كليهما ، في حين يعدّه الروم الأرثوذوكس منبثقاً من الآب فقط ، أما البروتستانت فلا يتعرّضون لشيء من ذلك كلّه ، بل يكتفون بالقول بألوهية الروح القدس ، وأنه أقنوم الذات الإلهية الثالث .

(2) راجع : رستم وخيّاطة ، المصدرين المذكورين .

هذه كانت عقيدة جمهور المسيحيين ، أي : الرّوم الكاثوليك (اللاتين) أو الكنيسة الغربية التي توجد رئاستها في روما ، والرّوم الأرثوذوكس ، أي الكنيسة الشرقية اليونانية التي كانت توجد رئاستها في القسطنطينية (والتي انفصلت عن الكنيسة الغربية عام 879 م) ، والپروتستانت بفرقهم المختلفة من أنگليكان ولوثريين وإنجيليين وغيرهم . . الذين خرجوا من ضمن الكنيستين السابقتين في القرن السادس عشر الميلادي وما تلاه .

لكن هناك طائفتين قديمتين من المسيحيين لم تعترفا أبداً بقرار مجمع خلقيدونية المذكور ، الذي نصّ على أن المسيح شخص واحد في طبيعتين ، وهما : «النساطرة» أتباع نسطوريوس ، و«اليعاقبة» أتباع يعقوب البرادعي .

أما «النساطرة» Nestorians ، وهم أقلّية تتوطن حالياً شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا وشمال العراق وشمال سورية ، وعدد من المناطق الأخرى ، ويسمّون كذلك بالآشوريين ، فهم يميّزون في المسيح بين شخصين : شخص عيسى البشر المولود من مريم العذراء ، الذي هو إنسان بشر محض ، وشخص الإله الابن ، أو ابن الله الذي هو إله كامل ، المتّحد بعيسى الإنسان ، فالذي ولد من مريم العذراء هو عيسى الإنسان وليس الله .

ولذلك رفض النّساطرة عبارة «مريم والدة الإله» ، كما أن الذي صُلب في اعتقادهم وتألّم ومات ، لم يكن الله الابن ، بل عيسى الإنسان البشر . والحاصل أن المسيح ، في اعتقادهم ، شخصيتان متمايزتان ولكل شخصية منهما طبيعتها الخاصة : البشرية المحضة لعيسى النّاصري المولود من مريم العذراء ، والإلهية المحضة لابن الله المتحد بعيسى في اعتقادهم .

وعلى النقيض من ذلك تماماً رأي الطائفة الأخرى ، وهم «اليعاقبة» Jacobites ، الذين يرون أن عيسى المسيح شخص واحد فقط ، لا شخصان . وليس هذا فحسب ، بل إن هذا الشخص الواحد ذو طبيعة واحدة أيضاً ، ولذا يُسمّون أيضاً بـ «المونوفيزيين» monophysites ، أي القائلين بالطبيعة الواحدة

للمسيح . فاعتقادهم هو أن : أقنوم الابن من الله تجسّد من روح القدس ومريم العذراء ، فصيّر هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية ، أي صار الله (الابن) المتجسّد ، طبيعة واحدة من أصل طبيعتين ومشيئة واحدة وشخصاً واحداً .

وبعبارة أخرى : المركز المسيِّر والطبيعة الحقيقية لعيسى المسيح الذي وُلد من مريم هي الألوهية المحضة ، فهو الله عينه ، أما بشريّته فهي مجرد لباس فان في إلهيته . فلذلك يُعتبر الله لديهم هو بذاته الذي وُلد من مريم العذراء ، لذا فهّي والدة الإله ، والله نفسه هو الذي عُذِّب وتألّم وصُلب ومات ، ثم قام بعد ثلاثة أيام من قبره حيّاً .

والحاصل ، أن الفرق المسيحية جميعها تتفق على أن المسيح بشرٌ وإلهٌ في الوقت نفسه . وإنما تختلف عن بعضها في مدى تأكيدها وإبرازها لأحد الجانبين الإلهية والبشرية في المسيح ، فاليعاقبة يؤكدون الجانب الإلهي أكثر ، وعلى عكسهم النساطرة الذين يبرزون أكثر الجانب البشري ، في حين يطرح الجمهور الأعظم رؤية متوازية ومتعادلة للجانبين الإلهي والبشري ، دون ترجيح أي منهما على الآخر .

ألوهية المسيح في المذاهب المسيحية

يقرّ جُلّ مؤرخي المسيحية ، أن الاعتقاد بألوهية المسيح لم يصبح عقيدة مستقرّة وسائدة بين المسيحيين ، إلا بعد انقضاء عهد الحواريين والتلاميذ الأوائل للمسيح ، أي بعد انقضاء قرن على الأقل على انتقال المسيح ورفعه . أما قبل ذلك ، أي في القرن الأول للمسيحية ، فكانت مذاهب الناس في المسيح لا تزال متشعّبة ، فغالبية اليهود المعاصرين له أبغضوه ، وأنكروا رسالته من الأساس ، وعدّوه ساحراً ودجّالاً (حاشاه من ذلك) ، وصرفوا جهودهم لمحاربة أتباعه والقضاء على دعوته . وفي المقابل آمن به عدد من يهود فلسطين ، ورأوا فيه «المسيح» المبشّر به في أسفارهم ، ومن هؤلاء الحواريون (التلاميذ) .

كما وُجد في ذلك القرن الأول وما بعده يهود تشبّعوا بأفكار الفلسفة الهيلّينية (اليونانية) ، سيما الأفلاطونية الحديثة منها ، فنظروا للمسيح ولارتباطه بالله بمنظار ما كانوا مُشبعين به من تلك الفلسفة حول الإلهيات ، وما تعلّمه حول مفهوم «اللّوگوس» Logos (في اليونانية : Λογος) ، أي العقل الكلّي «الكلمة» الذي ترى فيه أول ما فاض عن المبدأ الأول أي الله ، فاللّوگوس هو الوسيط بين الله في وحدته وبساطته وبين العالم المتكثّر . فطابقوا بين المسيح واللوگوس ، ورأوا فيه مخلوقاً لله ، فلم يقولوا بألوهيته ولا ساووه مع الآب في الجوهر .

وأخيراً ، كان هناك المؤمنون الجدد من الأمميين (الوثنيين) [1] ، وغالبهم آمن بدعوة التلاميذ بعد رحلة المسيح ، وهؤلاء كانوا متشبّعين بثقافة عصرهم الوثنية الهيلينيّة ، التي تنظر للعظماء من أباطرة أو قادة فاتحين أو فلاسفة عظام ، على أنهم أنصاف آلهة أو أبناء آلهة هبطت لعالم الدنيا ، وتجسّدت لخلاص بني الإنسان وهدايتهم .

فصار كثير منهم ينظرون لشخصية المسيح بالمنظار نفسه ، خاصة أنه كان يُعبَّر عن المسيح في لغة الأناجيل بابن الله ، فأخذوا هذه البنوّة على معناها الحرفي لوجود نظير لذلك في ثقافتهم الوثنية ، ورأوا فيه ابن الله الحقيقي الذي كان إلهاً فتجسّد ، ونزل لعالم البشر لخلاصهم .

لاقت هذه العقيدة رواجاً لدى جمهور العامّة ، الذين يُعجبون بالغلوّ في رفع مقام من يقدّسونه ويؤمنون به ، ويرون ذلك من كمال الإيمان به والمحبّة له . وقد لعبت عدّة عوامل سياسية وثقافية واجتماعية وحتى لغوية ، لصالح الاتجاه الوثني الأخير في النظر لشخصية المسيح ، فَسادَ وانتشر ، وشيئاً فشيئاً صار هو الأصل ، وصارت مخالفته هرطقة وخيانة لحقيقة المسيح . وصار الموحّدون فئات ضئيلة تتعرّض للاضطهاد ، ويُنظر إليها على أنها بدعيّة ضالّة تستوجب الطرد والمحاربة .

---

(1) راجع تعليقنا حول مفهوم «الأمين» gentiles في حواشينا على تعليقات پاول أدناه .

ومن الأمثلة على العوامل السياسية التي لعبت دوراً في ترجيح الصبغة الوثنية لتأليه المسيح ، السبب السياسي الذي دعا الإمبراطور البيزنطي قنسطنطين الأول (274–337 م) إلى السّماح بالديانة المسيحية في عام 313 م ، وهو تفشّي الاضطرابات السياسية والإدارية في عصره ، مما حدا به إلى القبول بالنصائح التي أُسديت إليه باعتناق المسيحية وإعلانها ديانة رسمية للدولة ، لما لها من دور في تكييف مشاعر الناس نحو الدّعة والمسالمة ، وطاعة الحاكم ورئيس الكنيسة على اعتباره نائباً للإله «النّصف بشري» ، حسب النكهة الرُّومية الهلّينية .

أما العوامل الثقافية ، فلا أدلّ عليها من أن الديانات الوثنية الغربية لدى اليونان والرومان ، كانت ديانات تعدّدية تؤمن بتعدّد الآلهة وانقسام شخصياتها ، على نقيض الديانتين المشرقيتين التوحيديتين آنذاك : اليهودية والمسيحية [(1)] . فرغبت أوروبا الداخلة في المسيحية ، بإضفاء صبغتها الثقافية عليها ، لكي تكون نسخة أوروبية معدّلة تُوائم تراثها الثقافي . ومن يقارن بين مفهوم الله في منظور التثليث المسيحي ، فبإمكانه أن يعثر على ظلال له في مفهوم زيوس أبي الآلهة الإغريقي أو جوبيتر أبي الآلهة الروماني ، من حيث الشكل على الأقل .

ومن العوامل اللغوية أيضاً ، إشكاليات ترجمة الإنجيل الأول ، من لغته الشفهية الأصلية (الآرامية) إلى لغته المكتوبة الأولى (يونانية أواخر العهود الكلاسيكية) ، فإلى اللغات الأخرى ، وأولها لاتينية روما . فمن أسطع الأمثلة على هذه الإشكاليات ، التقلقل في ترجمة عبارة κυριε «كيرييه» اليونانية إلى : «ربّنا» بدلاً من «سيّدنا» أو مولانا مثلاً ، كما سنفصّل بذكره أدناه .

* * * * *

(1) حتى الديانات الوثنية في المشرق كانت توحيدية إجمالاً ، كعبادة البعل وأدونيس وداجون . فيبدو أن المشرق الذي أفرز التوحيد على الدوام ، في الديانات الوثنية ، حتى ما تلاها من ديانات سماوية توحيدية ، قد قوبل بديانات تعدّدية من الطرف الآخر للبحر المتوسط . فلا وجه لاستبعاد عقيدة التثليث عن دائرة هذه التعدّدية ، ولو أن الأمر صار يتعلّق هنا بديانة سماوية ذات وحي واتصال بجوهر الديانة السماوية السابقة لها .

فهكذا نستخلص ، أن الشكل الحالي لعقيدة تأليه المسيح في المذاهب المسيحية الرسمية ، قد بدأ نشوءه في روما بأواخر القرن الميلادي الأول ، ثم أخذ شكله النهائي في القرن الرابع الميلادي في مجمع نيقية المسكوني عام 325 م ، وليس قبل ذلك على الإطلاق .

أما الموحّدون المسيحيون ، الذين حوربوا بعد مجمع خلقيدونية في القرن الخامس عام 451 م ، وشُنَّت عليهم حرب ضارية ضروس ، فقد انحسروا واقتصر وجودهم بأطراف الولايات البيزنطية في كيليكيا وسورية والعراق وبعض تخوم فارس . ثم من المفارقات العجيبة ، أن يضحي هؤلاء أغراباً في أوطانهم ، في حين تعود الديانة المسيحية إلى الشرق بنسختيها الأوروبيتين المعدّلتين (الشرقية والغربية) ، فتسيطر هاتان النسختان وتصبحان الشكل الرسمي الوحيد لهذه الديانة ، في الشرق والغرب على حدّ سواء !

مذاهب التوحيد المسيحي عبر التاريخ

أثبتت التواريخ المدوّنة والوثائق المكتوبة ، أنه وُجدت ولا تزال ، أعداد من المسيحيين الذين أنكروا تأليه المسيح عليه السلام ، ورفضوا عقيدة التجسّد والتثليث ، وأكّدوا تفرّد الله الآب وحده بالألوهية والرُّبوبية والأزلية ، وأن المسيح عليه السلام بشر مخلوق .

ولقد ذكرت المصادر التاريخية المسيحية ، المختصة بتاريخ الكنيسة ، أسماء عدّة فرق في القرون المسيحية الثلاثة الأولى ، كانت تنكر التثليث والتجسّد وتأليه المسيح ، وهي : فرقة الأبيونيين ، وفرقة الكارينثيانيين ، وفرقة الباسيليديين ، وفرقة الكاربوقراطيين ، وفرقة الهيبسيستاريين ، وفرقة الغنوصيين .

وأما أشهر الشخصيات المسيحية التوحيدية في التاريخ ، التي تذكرها تلك المصادر ، فهي :

بولس السُّميساطي : كان بطريـرك أنطاكيـة 260 م ، آمـن ببشـرية المسيـح ، ووافقه على مذهبه التوحيدي الخالص كثيرون ، عُرفوا بالبوليقانيين . كـان يلتزم في صلواته بسملة سريانية لافتة جداً للنظر : ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܕܡܫܝܚܐ ܡܕܫܝܚܐ .

الأسقف لوقيانوس الأنطاكي (الشهيد) : أستاذ آريوس ، مات شهيداً في نيقوميديا عاصمة الإمبراطورية الشرقية عام 312 م .

ديودوروس أسقف طرسوس : من أعلام المدرسة الأنطاكية في اللاهوت المسيحي ، توفي حوالي عام 390 م .

يوسيبيوس النيقوميدي : كان أسقفاً لبيروت ثم نُقل لنيقوميديا ، وكان من أتباع لوقيانوس الأنطاكي وصديقاً لآريوس ومن أتباعه ، توفي حوالي 452 م .

وأما الحديث عن آريوس ومذهبه التوحيدي المسيحي ، فيستلزم منا هنا إفراد فصل خاص له ، نظراً للأهمية البالغة للعلاقة الجدلية لمذهبه مع العقيدة الإسلامية . ولكن قبل البحث عن آريوس ومذهبه ، في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع للميلاد ، نعود هنا للتذكير بمذهب الوحدانية اليعقوبي ، أي المونوفيزية monophysitism ، الذي شاع فيما بعد بالقرن الخامس وحُرِّم في مجمع خلقيدونية المسكوني عام 451 م ، والقائل بوجود طبيعة واحدة للمسيح .

ومن الهام ذكره هنا ، أن إقرار عقيدة المسيح الأقنوم (الشخص) الواحد في طبيعتين ، ناسوتية ولاهوتية ، الذي تم في مجمع خلقيدونية ، إنما كان على إثر جدل واسع حول هذه النقطة [1] . وأسفر قرار ذلك المجمع عن انشقاق بعض الكنائس الشرقية عن كنيسة روما اللاتينية ، كالكنيسة القبطية التي رفضت القرار وقالت بالمسيح الشخص الواحد ذي الطبيعة الواحدة فقط . واتفق مع الأقباط في ذلك المعتقَد اليعاقبة في بلاد الشام والجزيرة الفُراتية (الذين يُعرفون بالسّريان الأرثوذوكس) ، وطائفة من الأرمن هم أتباع الكنيسة الغريغورية الأرمنية .

(1) لكثرة هذه الأبحاث وتضارب الآراء في مفاهيم عقيدة طبيعة المسيح ، نشأ عنها علم قائم بذاته عُرف باسم «الكريستولوجيا» Christology ، أي علم طبيعة المسيح .

يضاف إلى ذلك ، انشقاق النساطرة إثر انعقاد مجمع إفسُس قبل عشرين عاماً من مجمع خلقيدونية ، الذي حكم بوجود «اتّحاد جوهري بين الطبيعتين في المسيح ، وأن الإله والإنسان في المسيح هما واحد ، وبأن مريم والدة الإله» . فقد رفض البطريرك الكبير نسطوريوس بطريرك القسطنطينية هذه العقيدة ، لأنه كان يؤكد على التمايز بين أقنوم الإله وأقنوم الإنسان في السيد المسيح ، وبالتالي فقد ميّز نسطوريوس بين أقنومين في المسيح ، وليس فقط بين طبيعتين .

ولذلك ، فقد كان مذهبه على النقيض تماماً من مذهب الأقباط واليعاقبة ، وكان بالتالي كل من المذهبين يكفّر الآخر ويلعنه ويتبرّأ منه . هذا ، وقد انحاز إلى نسطوريوس في عقيدته هذه كثير من مسيحيي المشرق ، الذين عُرفوا بالنساطرة ، أو بطائفة الآشوريين أو الكلدان .

التوحيد المسيحي
بين الآريوسيّة والإسلام

نعود هنا إلى القرن الرابع الميلادي ، لتتبّع مسألة مذهب الآريوسيّة ، وإسقاطاتها الجدلية الدراماتيكية على الخلاف الكلامي بين التثليث المسيحي والتوحيد الإسلامي .

لا مراء أن آريوس Arius (250–336 م) المولود في ليبيا ، وأسقف كنيسة بوكاليس في الإسكندرية ، يُعتبر أشهر أعلام التوحيد المسيحي على الإطلاق في جميع العصور . ومنذ بدء انتشار أفكاره اللاهوتية ، صار له ألوف الأتباع الذين عُرفوا بالآريوسيين ، وبقي مذهبهم التوحيدي حيّاً لفترات طويلة ؛ وأضحى آريوس رمزاً للتوحيد ، حتى أن كل من جاء بعده وأنكر التثليث وُصم بأنه آريوسي أو أرياني ، نسبة إلى مذهبه المعروف بالأريانية Arianism [1] .

---

(1) راجع : *Encyclop. Britannica (Macrop.)*, "Unitarians" (ed. 1981), vol. 18, p. 860.

تتلمذ آريوس على لوقيانوس الأنطاكي ، الذي كان يرفض ألوهية المسيح ، فكان أن استُشهد دون عقيدته التي تناقض تعاليم بولس[1] . وكان آريوس طويل القامة نحيل الجسم ، مكتئب المظهر وتبدو على محيّاه آثار التقشّف وشظف العيش ، وكان معروفاً أنه من الزُّهّاد كما يُستدلّ من ملبسه ، وهو جلباب قصير من غير كمّين تحت ملحفة يستخدمها كعباءة . وكان أسلوبه في الحديث ظريفاً وحُججه مقنعة ، وكان له من بين رجال الدّين عدد كبير من المؤيّدين[2] .

يُعدُّ آريوس ، من وجهة النّظر الأرثوذُكسية ، هرطقياً أو زنديقاً شكّل خطراً على العقيدة المسيحية طوال عشرة القرون الأولى من تاريخ المسيحية . ويقوم خلافه مع الكنيسة على أطروحة واحدة ، هي أن يسوع كائنٌ فان ليس إلهياً بأي معنى ، وليس بأي معنى شيئاً آخر سوى معلّم يُوحى إليه[3] .

تنص عقيدة التوحيد المسيحي التي تبنّاها آريوس ، على أن «الله واحد فرد غير مولود ، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى . فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء وبإرادة الله ومشيئته» . وهذا يعني أن المسيح ، ضمن هذا التعريف ، بشرٌ مخلوق .

غير أن آريوس لم يخرج ببدعة جديدة في هذا التوجّه الذي يصرّ على بشريّة المسيح ، فقد سبقه إلى ذلك بطريرك أنطاكية بولس السُّميساطي ، ولقد عُرفت مدرسة أنطاكية التي أسّسها لوقيانوس الأنطاكي بميولها النّقدية التي كانت تنظر إلى

---

(1) حول ذلك راجع : عيسى يبشّر بالإسلام ، لمحمد عطاء الرّحيم ، ترجمة فهمي شمّا ، دمشق 1990 ، ص 128–129 . وراجع : الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام ، لنهاد خيّاطة ، دار الأوائل ، دمشق 2002 ، ص 81 .

(2) راجع : قصة الحضارة ، لولّ ديورانت ، 11 : 392 . وراجع : الأحناف ، دراسة في الفكر التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام ، لعماد الصبّاغ ، دار الحصاد ، دمشق 1998 ، ص 106 . وحول حياة آريوس راجع :

Encyclopaedia Britannica (Micropaedia), (ed. 1981) : “Arius”, vol. I, p. 518.

(3) راجع : خياطة ، المصدر المذكور والصفحة ذاتها . وراجع :

Baigent, M. & Leigh, R. & Lincoln, H.: *The Holy Blood and the Holy Grail*, London, 1982. pp. 279-83.

المسيح لا باعتباره إلهاً ، بل باعتباره مخلوقاً أُنعم عليه بقوى إلهية . وكانت هذه المدرسة هي الأساس الفكري والعقائدي الذي استمدّ منه آريوس أطروحته [1] .

لقيت هذه العقيدة أنصاراً كثيرين في الإسكندرية لدى أوساط الطبقات الدنيا وخارجها ، أما على صعيد الحكّام فإن الإمبراطور البيزنطي قسطنطيوس ابن الإمبراطور قسطنطين قد أعلن نفسه آريوسياً . ومع مجيء العام 360 م ، حلّت الآريوسية محلّ المسيحية الرّومانية . وعلى الرّغم من شجب الآريوسية في مجمع القسطنطينية عام 381 م ، استمرّت هذه العقيدة بالانتشار وبكسب أنصار جُدد ، حتى إذا كان القرن الخامس ، كانت كل أسقفية في العالم المسيحي إما آريوسية أو شاغرة [2] .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن مذهب التوحيد الآريوسي كان متواجداً في نواحي الشام والتخوم الشمالية للجزيرة العربية ، زمن البعثة النبوية الشريفة وقيام الدعوة الإسلامية بالقرن السابع الميلادي . ومن المهم ملاحظة ورود ذكر هذا المذهب في كتاب الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) إلى هرقل عظيم الرّوم (أي الإمبراطور البيزنطي هراكليوس الأول) ، الذي يدعوه فيه إلى الإسلام :

«بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من محمّد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الرّوم ، سلامٌ على من اتّبع الهُدى ، أمّا بعدُ : فإني أدعوك بدعاية الإسلام : أسلم تسلمْ ، يُؤتك الله أجرك مرّتين ، فإن تولّيتَ ، فإنّ عليك إثم الأريسيّين [3] . ويا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبُدَ إلا الله ، ولا نُشرك به شيئاً ، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مُسلمون» [4] .

---

(1) راجع : ج. لورتس : تاريخ الكنيسة الفرنسية ، باريس 1955 ، ص 67 .

(2) راجع : Baigent, Leigh & Lincoln : op. Cit., pp. 345-6. .

(3) هكذا ترد العبارة في بعض الأصول القديمة للسيرة النبوية الشريفة ، وقد ترد في غيرها بنص : «اليريسيين» ، والمؤدّى على أي حال واحد مع اختلاف اللّفظ .

(4) الجامع الصحيح للبخاري ، باب : «كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله» .

كان دارسو الحديث الشريف قد حاروا طويلاً بتفسير معنى هذه العبارة «الأريسيين» ، التي ليست سوى إشارة واضحة إلى الآريوسيين أنفسهم . وفي ذلك الدليل الدامغ على حُكم الإسلام بأن دعوة آريوس إنما هي التعبير الأصوب عن العقيدة المسيحية الأولى بغير تحريف [1] .

ومع احتكاك بعض أعلام الأريوسيين بالنُّخبة الإسلامية الأولى ، نجد أصداء هذا المذهب واضحة تماماً في ثنايا الدعوة الإسلامية ، وحملتها المتشدّدة للغاية على التثليث واعتباره واحداً من أبلغ ضروب الشِّرك ، بحسب ما جاء في آيات القرآن الكريم (سورة النساء ، 171) :

﴿يا أهل الكتاب لا تَغلُوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ إنّما المسيح عيسى ابنُ مَريمَ رسولُ الله وكلمته ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منهُ فآمنوا بالله ورُسُله ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لكم إنّما الله إلهٌ واحدٌ سُبحانهُ أن يكونَ لهُ ولدٌ لهُ ما في السّموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ .

* * * * *

وأما تتبّع خيوط العلاقة الجدليّة بين العقيدة المسيحية الآريوسية والإسلام ، فأمر يحتاج – كما أسلفنا – إلى دراسة مطوّلة خاصّة ، ترجع إلى المصادر المعاصرة لآريوس والمكتوبة باليونانية . إلا أننا نحب هنا الإلماح إلى بضع نقاط جوهرية ، تهمّ بحثنا الحاضر . وذلك بحثاً عن الحلقة المفقودة ، أو صلة الوصل التي تربط بين الإسلام وعقائد التوحيد السابقة ، وبخاصّة المسيحية منها كالآريوسيّة .

---

(1) هذا طبعاً مع الإشارة إلى أن عقيدة آريوس المسيحية برغم تماثلها الكبير مع عقيدة التوحيد الإسلامية ، فهي لم تكن متطابقة معها بالكامل ، ففيما تنفي العقيدة الآريوسية أن يكون يسوع ابن الله ، أو أن يكون الله أباً ليسوع ، فهي لا تنفي أن يكون الله قد «تبنّاه» ، أو «اتّخذه ولداً» حسب التعبير القرآني . والنص القرآني يحرّم هذه النظرة تحريماً قاطعاً في عدد من الآيات ، مصنّفاً إياها في جملة العقائد المنحرفة عن الدّين القويم الذي شرعه الله لعباده . راجع : سورة يونس : 68 ؛ سورة الإسراء : 111 ؛ سورة الكهف : 4 ؛ سورة مريم : 88–95 ، سورة الإخلاص .

الحنيفية ، نقطة البداية من ديانات التوحيد إلى الإسلام :

تنصّ المصادر الأولى للتشريع الإسلامي (القرآن الكريم والحديث الشريف) أن أولى الديانات السّماوية التي انبثقت عنها الديانات الثلاث ، إنما كانت «الحنيفية ، ملّة إبراهيم» عليه السّلام . وهذا ما ورد في كثير من آيات القرآن الكريم ، مثل : ﴿قُل صدقَ الله فاتّبعوا ملّة إبراهيم حنيفا﴾ آل عمران : 3 ؛ ﴿ثـمّ أوحينا إليك أن اتَّبع ملّة إبراهيم حنيفا﴾ النّحل : 16 ؛ ﴿ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل﴾ الحج : 22 . كما ينصّ القرآن الكريم على تنزيل ديني ، كان سابقاً للتّوراة ، هو : ﴿صُحُف إبراهيم ومُوسَى﴾ الأعلى : 87 . وإن كان التّنزيل بهذه الصُّحُف لم يصلنا إلا بطريق الإشارة ، وليس النّص .

ومن المعروف أن مجتمع الجزيرة العربية ، في الحجاز خصوصاً ، شهد عشية قيام البعثة النّبوية الشريفة وجود أتباع للحنيفيّة ، كان من أشهرهم بمكّة زيد ابن عمرو بن نُفَيْل القُرَشي ، وإن كان المذهب آنذاك غير واضح المعالم [1] .

وحسبُنا أن نعدّد من أهم الشخصيات التي دانت إما بالحنيفية أو الآريوسية ، وأدركت الرّسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) ، وأسلم بعضها :

ورقة بن نوفل : الحبر العارف بالإنجيل وأسفار اليهود (التّوراة وسواها) ، والقارئ للّغة اليونانية بغير شك ، على اعتبار أن الكتب المقدسة المذكورة كلّها كانت مدوّنة بها حصراً آنذاك ، هذا فضلاً عن أنها كانت لغة الثقافة والحضارة والتجارة في عصرها ، واللغة المكتوبة بالشكل الأوسع والأعمّ . وكان ورقة ابن عمّ السيّدة خديجة بنت خُوَيلد (رضي الله عنها) [2] .

---

(1) راجع : الأحناف دراسة في الفكر التوحيدي قبل الإسلام : لعماد الصبّاغ ، دمشق 1998 .

(2) كانت السيدة خديجة أم المؤمنين أولى زوجات الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ، وأم أولاده كلّهم ، فيما عدا ابراهيم . وكانت أولى المؤمنين بالرّسالة النبوية الشريفة . لم يجمع الرّسول معها زوجة أخرى أثناء حياتها ، وعزى بعض الكتّاب ذلك إلى أنها كانت تدين بالمسيحية ، التي تحرّم تعدّد الزوجات polygamy . إلا أن نصوص السّيرة لا تشير إلى ذلك ، وإنما المعروف أنها كانت حنيفيّة على ملّة سيّدنا إبراهيم .

ومنهم : سلمان الفارسي ، دحية الكلبي ، الراهب بحيرا [1] ، الراهب نسطورا . كما كان عرب الشام من الغساسنة ، وأمراؤهم آل جفنة ، على مذهب المونوفيزية اليعقوبي ، وكانت لهم صلات تجارية وثيقة بعرب الحجاز . وأسهم عرب الشام اليعاقبة بقسط وافر في معاضدة الجيش الإسلامي الذي خاض معارك فتوح الشام ؛ لا بل وقاد بعضهم ، كعيّاض بن غنم ، بعض سرايا الفتوح .

* * * * *

أما حول مشاكل ترجمات الإنجيل ونسخه المختلفة [2] ، فنذكر هنا أن كل من يقرأ الأناجيل فليس يقرأ فحواها الأصلي بالنصّ ، وإنّما يقرأ ترجمة لها عن اليونانيّة (عن الأصل الشفاهي الآرامي) . هذا ناهيك عن أنه في اللغة الواحدة تتعدّد الترجمات وتتباين فيما بينها ؛ ففي العربية ترجمة كاثوليكيّة ، وأخرى إنجيليّة ، ومؤخراً صدرت ترجمة مشتركة ، لم تُعتمد رسمياً .

وأما إشكاليّات الترجمة ، فمن أسطع أمثلتها الخلل في ترجمة عبارة «كيرييه» اليونانيّة κυριε ، إلى : «ربّنا» . وبالرّجوع إلى اللّغة اليونانيّة ، نجد أن عبارة κυριος «كيريوس» بالمُفرد المذكّر تعني : سيّد ، رئيسي ، أساسي . أما الله أو الرّب ، ففي اليونانية : Θεος «ثِيُوس» . فأنّى تُترجم العبارة بـ«ربّنا» ؟

* * * * *

(1) راح بعض المُغرضين يستغلّون واقعة هذا الراهب ، لخدمة الادّعاء المشبوه الكاذب بأن الرسول إنما استقى فحوى الديانة الإسلامية ومُجمل عقيدتها منه بالذات . وصدرت عدّة دراسات مشحونة بالدّس ، من أشهرها كتب المستشرق الألماني تيودور نولدكه Theodor Nöldeke ، والمجري إگناتس گولدتسيهر Ignaz Goldziher ، وآخرها كتاب «قسٌّ ونبي» ، الذي نشره مُتفيهق مَوْتور باسم مزيّف : أبو موسى الحريري .

(2) من أحسن الدراسات التي صدرت بهذا الشأن كتاب الأستاذ نهاد خيّاطة : «الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ البدايات حتى ظهور الإسلام» . فيه معلومات دقيقة ومفيدة ، تتبيّن من خلالها المراحل الطويلة التي مرّ بها تدوين الأناجيل المختلفة ، التي تبلغ العشرات ، حتى تم تقرير الأربعة القانونيّة المعروفة منها ، عبر خمسة مجامع كنسيّة .

مسرد مراجع البحث

أولاً : المراجع العربية

- الأحناف ، دراسة في الفكر التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام : لعماد الصبّاغ ، دار الحصاد ، دمشق 1998 .
- البحث عن يسوع : لكمال الصليبي ، دار الشروق ، عمّان 1999 .
- التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا : لسعد رستم ، دار الأوائل ، دمشق 2002 .
- سوسنة سليمان في العقائد والأديان : لنوفل أفندي نوفل ، المطبعة الأميركانية ، بيروت 1922 .
- عيسى يبشّر بالإسلام : لمحمد عطاء الرّحيم ، ترجمة فهمي شمّا ، دمشق 1990 .
- الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام : لنهاد خيّاطة ، دار الأوائل ، دمشق 2002 .
- فهرس الكتاب المقدّس : جورج پوست ، مكتبة المشعل ، بيروت 1981 .
- الكتاب المقدّس : الترجمة الكاثوليكية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1960 .
- الكتاب المقدّس : الترجمة البروتستانتية ، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأدنى .
- الكتاب المقدّس : الترجمة المشتركة ، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط .

ثانياً : المراجع اليونانية

Φ. Γλυτση & Α. Ραχμαν: *Λεξικον Ελληνο - Αραβικον*, Εκδοτικος Οικος Ωμεγα, Θεσσαλονικη. (αχρονολογητον)

Sophocles, E.A.: *Greek Lexicon of the Roman and Byzantine Periods*, Charles Scribner's Sons, New York, 1887.

obeikandi.com

ثالثاً : المراجع الآرامية (الكلدانية والسّريانية)

– دليل الرّاغبين في لغة الآراميين : المطران يعقوب أوجين منّا الكلداني ، مطبعة دير الآباء الدومنكيين ، الموصل 1900 . والطبعة الثانية ، مركز بابل ، بيروت 1975 .

– قاموس سرياني – عربي : الأب لويس كوستاز اليسوعي ، المكتبة الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1963 .

– اللّباب (ܠܒܒܐ) ، قاموس اللّغة الآرامية السّريانية الكلدانية : القس جبرائيل القرداحي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1887–1891 .

رابعاً : المراجع العبرية

– דב בן אבא : מלון עברי אנגלי . סיגנט . ניו־יורק 1977 .
– יחזקאל קוגמן : מלון עברי ערבי . עמאן 1970 .
– מרדכי כהן : מילון חדש עברי צרפתי . לארוס . פאריס 1982 .
– ספר תנ"ך . מדויק היטיב על פי המסורה . לונדן 1984 .
– רבחי כמאל : המלון החדש עברי ערבי . בירות 1975 .
– רבחי כמאל : שעורי השפה העברית . דמשק 1958 .

وترجمة هذه المراجع [1] :

– معجم عبري – إنكليزي : دوف بن أبا ، دار نشر Signet ، نيويورك 1977 .

– قاموس عبري – عربي : يحزقيل قوجمان ، مكتبة المحتسب ، عمّان 1970 .

– القاموس الحديث عبري – فرنسي : مردخاي كوهن ، لاروس ، باريس 1982 .

– أسفار العهد القديم (توراه – نبيئيم – كتوبيم) : النسخة المَسُوراتيّة ، طبعة جمعية الكتاب المقدّس البريطاني والأجنبي ، لندن 1984 .

– المعجم الحديث عبري – عربي : د. ربحي كمال ، دار العلم للملايين ، بيروت 1975 .

– دروس اللغة العبرية : د. ربحي كمال ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق 1958 .

---

(1) المراجع المطبوعة في دمشق وبيروت وعمّان ، حصلنا عليها من مكتبات دمشق . وأما القواميس الأخرى المنشورة في باريس ولندن ونيويورك ، فقد حصلنا عليها من مكتبة السّاعة ، في بيروت ، شارع الحمراء . نذكر ذلك هنا لضرورة تبيان الأمر !

خامساً : المراجع اللاتينية والفرنسية

Gaffiot, F.: *Dictionnaire abrégé Latin-Français*, Hachette, Paris, 1936.

Bucaille, M.: *La Bible, le Coran et la science*, 4ème édition, Seghers, Paris.

سادساً : المراجع الألمانية

Jeremias, J.: *Heiligengräber in Jesus Umwelt*, Göttingen, 1958.

Strack, H.L. und Billerbeck, P.: *Das Evangelium erläutert aus Talmud und Midrasch*, München, 1982.

سابعاً : المراجع الإنكليزية

Baigent, M. & Leigh, R. & Lincoln, H.: *The Holy Blood and the Holy Grail*, London, 1982.

Brown Francis, Driver, S.R. & Briggs Charles, A.: *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Based on the Lexicon of William Gesenius*, rev. G.R. Driver, Oxford, 1951.

Good News Bible, American Bible Society, New York, 1976.

Liddell, H.G. & Scott, Robert: *A Greek-English Lexicon*, 9th edn., rev. H.S. Jones and R. McKenzie, with supplement, Oxford, 1968.

May, Herbert G.: *Oxford Bible Atlas*, Oxford University Press, London, New York, 1974.

Shürer, E.: *History of the Jewish People*, translated by: Vermes & Millar, Edinburgh, 1973.

Ullendorff, E.: "The Bawdy Bible", in: *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 42 (1979), pp. 427-56.

Webster's Biographical Dictionary, G. & C. Merriam Co., Publishers, Springfield, 1943.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

obeikandi.com

THE EVOLUTION OF THE GOSPEL

A New Translation of the First Gospel with Commentary and Introductory Essay

J. ENOCH POWELL

Sometime Fellow
of Trinity College, Cambridge, and
Professor of Greek
in the University of Sydney, NSW

obeikandl.com